علاقات يهود الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي بين التعايش والمعاداة

د. عبد القادر كركار

د.رضوان شافو

جامعة الوادي

الملخص

تأتي هذه الدراسة لتوضيح طبيعة العلاقات التي كانت سائدة بين يهود الجزائر وغيرهم وبعض جوانب أوضاعهم الاجتماعية في العهد العثماني للجزائر فتعرضت الى تاريخ توافد الهجرات اليهودية على الجزائر في العهد العثماني حيث كانت هجرات كبيرة بعد سقوط الاندلس ثم توزعهم في البلاد واهم مراكز تواجدهم وتطور تعدادهم والذي عرف تزايد وتناقص تبعا للظروف ونتعرض أوضاعهم الاجتماعية والثقافية وهيكلهم التنظيمي وأهم النشاطات التي كانوا يحترفونها وهو ما أثر على طبيعة علاقاتهم بمختلف مكونات المجتمع الجزائري والتي تميزت بالتعايش والتسامح الديني والظروف الامنة التي وفرتها السلطة لهم مقارنتا بالاضطهاد الذي كانوا يتعرضون له في أروب بعد سقوط الاندلس وتعرضهم لمحاكم التفتيش أسوة بالمسلمين

كلمات مفتاحية: اليهود، باكري، بوجناح،توشاييم ،ميغوراشيم

Résume

Cette étude vient pour éclairer les relations qui existaient entre les juifs de l'Algérie et les autres éléments de la société, ainsi que certains aspects de la situation sociale pendent la domination ottomane

Commençant par l'histoire de l'afflux des migrations juives vers l'Algérie, a l'époque ottoman En particulier après la chute de l'Andalousie puis leur dispersion dans le pays et les centres les plus importants de leur présence

L'évolution de leur nombre qui a augmenté et diminué À cet égard, nous traitent les conditions générales pour ce groupe sociales et culturelles, leur structure et activités et la nature de leur relations que Elle a généralement était caractérisés par la coexistence et la tolérance garanti pour eux par l'autorité vis-à-vis de la persécution qu'ils ont été exposés en Europe après la chute de l'Andalousie et de l'exposition à l'Inquisition comme les musulmans

Les mots clés : les relations,les juifs,domination ottomane,migrations juives,Andalousie

مقدمة:

كانت الجزائر عبر الحقب التاريخية ملتقى للهجرات ومعبر للموجات البشرية المتعاقبة وبعضها المستقرة في البلاد، بوصفها بلاد تطل على واجهة بحرية واسعة وممتدة على إمتداد شاسع وهذا الثراء البشري مكن عناصر من الوافدين من الاستقرار في ربوع البلاد حيث شكلوا مجموعة بشرية متفردةبخصوصياتها عن ما يحيط بها وفي هذا الشأن يعتبر اليهود أنموذجا في ذلك ،حيث يعدون من أبرز الأقليات التي حظيت بالاهتمام من طرف الأجانب، وقد كان للجزائر طابع خاص مع هذه المجموعة البشرية عبر مختلف المراحل التاريخية، ومع ذلك فتدارس أوضاع هذه الفئة وعلاقاتها لم يأخذ الحيز الكافي من الدراسة من قبل الباحثين الجزائريين.

وتكمن اهمية هذه الدراسة في كونها جاءت لتميط اللثام عن بعض الأمور التي كانت مهملة حول العلاقات التي كانت سائدة بينفئة اليهود وغيرهم، وكذا بعض من جوانب أوضاعهم الاجتماعية في ظل الحكم العثماني للجزائر.

اما بخصوص الاشكالية الجوهرية للدراسة فتتمثل فيمايلي: ماهي اهم عوامل الهجرة اليهودية الى بلاد المغرب العربي وخصوصا الجزائر؟ وكيف تعامل المجتمع الجزائري مع الاقلية اليهودية؟ وهل يمكن القول بان الاقلية اليهودية في الجزائر كانت احد الاسباب القوية في الاحتلال الفرنسي للجزائر؟

ومن الطبيعي لمعالجة هذه الاشكالية كان لابدا من الاعتماد على المنهج التاريخي لتتبع مختلف الوقائع التاريخية وفقا لتسلسها التاريخي مع استخدام عنصر التحليل والمقارنة في طبيعة العلاقة بين الاقلية اليهودية والاقليات الاجنبية الاخرى الموجودة في الجزائر، هذا بالإضافة الى الاعتماد على المنهج الوصفي والذي يعتبر منهجا اساسيا في الدراسات التاريخية، اذ لا يمكن معالجة الوقائع التاريخية دون وصفها وصفا دقيقا، وهذا بهدف الوصول الى النتائج المرجوة من خلال هذا البحث.

اولا/ التوافد اليهودي على الجزائر

يعود الوجود اليهودي في الجزائر إلى التاريخ القديم سواء بالهجرات أو بإنتشار الديانة اليهودية في بلاد المغرب دون الحاجة إلى عملية دعوة أو تبشير(1)، ونفذت إلى داخل القبائل البربرية دونما صعوبة (2). ويعود ذلك ربما لكونها وجدت استعدادا من لدن هذه القبائل لتقبل فكرة التوحيد بالفطرة . وهو ما تأكد بحلول الإسلام في مرحلة تاريخية لاحقة . حتى أصبح البعض يظن أنهم بربر تهودوا، وأخرين يظنون أنهم يهود تبربروا، ولكنهم متفقين على إعتبارهم سكان قدماء لشمال إفريقيا(3)، و أصبحوا جزء من نسيجها البشري فشكلوا قبائل شهيرة كقبيلة جراوة وهي من بطون زناتة ضربت ببطونها في منطقة جبال أوراس(4).

ويرجح البعض وصول اليهود لشمال إفريقيا مع السفن الفنيقية حيث أن عدد لايستهان به موجودين في الريف والمناطق الداخلية عموما(5)،ومع بدايات الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي أعيدت لليهود قيمة كبيرة من الحرية والإستقلال كانوا قد فقدوها بالتدريج(6) بسبب الإضطهاد الديني المسيحي الذي سلط حتى على أتباعه المخالفين للمذهب الإمبراطوري الرسمي .

وقد مثل اليهود القدماء في البلاد اليهود الأصليين الذين أصبحوا يعرفون بالعبرية بإسمالتوشابيمTochabim(7)وبدخول الفتح الإسلامي مع جيوش حسان بن نعمان الأوراس أشير له بأكبر أمرائها الكاهنة والتي قيل أنها يهودية(8)

وخلال محنة الأندلس وفدت على البلاد هجرات ضمت عدد هام من اليهود الأندلسيين، عرفوبإسماميغوراشيمMegorachim(9) فمع بداية سقوط حكم الإسلام في الأندلس؛ التي كان اليهود يعيشون فيها في أمان بإجماع كل المؤرخين تعرضوا للإضطهاد مثل بقايا المورسكيين من طرف رجال الدين الكاثوليك فتدل الأرقام مثلا أن من بين 48 شخصا أحرق خلال عملية تنفيذ الحرق في سنة 1560؛ فإن22 منهم كانوا بسبب يهوديتهم و 12 بسبب إسلامهم و5 بسبب لوثريتهم و 7 بسبب تعدد زوجاتهم (تبيح اليهودية تعدد الزوجات)، ومن بين 17 شخص الذين أحرقو سنة 1563 فإن 16 منهم كانوا بسبب يهوديتهم و واحد فقط بسبب الإسلام(10)فالإضطهاد المسيحي

الصليبي لم يفرق بين مسلم أو يهودي. وقد تعزز ذلك بترسيم قوانين فكان أول من نظم عقوبة دواوين التحقيق ضد المورسكيين المفتش العام الخامس دون ألفونسو مانريك أسقف إشبيليا والذي أصبح فيما بعد كاردينال الكنيسة الرومانية، وقد فتح جبهة مكافحة اليهود و اللوثريين والمورسكيين ونظرا لوجود قائمة بالمواد الخاضعة للوشاية ضد اليهود فإن ألفونسو مانريك قد وضع قائمة الإتهامات ضد المورسكيين على نفس النمط (11) فكان مصيرهم مشترك أمام جهاز العقاب والإضطهاد الكنسي الصليبي.

وأمام هذا الإضطهاد البشع إضطرالإندلسيون مسلمون ويهود إلى الهجرة لشمال إفريقيا بوسائل مختلفة، سرا وعلنا، فرديا وجماعيا(12).

وعليه فقد كانت الوجهة واحدة بالنسبة للأغلبية من اليهود، فإستقر مجموعة من اليهود المايورقيين في الجزائر العاصمة منذ 1287 وهي سنة غزو البليار من طرف ألفونس دو أراقون Alphonse d'Aragon وتاريخ وصولهم مؤكد بتاريخ المقبرة اليهودية (13)في حي بولوغين بالجزائر العاصمة وهي الهجرة الأولى والهامة وقد أطلق على المهاجرين إسمالشيكليين لأنهم كانوا يحملون معهم بإستمرار أبا عن جد شريحة مستديرة تسمى ((شيكلا)) .

وشهد القرن الخامس عشر وصول أعداد كبيرة من اللآجئين الإسبان الذين أطلق عليهم إسم ((كيبوزيين)) نسبة إلى القلنسوة التي كانوا يرتدونها والمعروفة بإسم ((كابيوس)) (14)، غير أن سنة 1391 سجلت سنة هامة ليهود إسبانيا حيث وقعت مجازر وتمسيح إجباري والتوجه للمنفى لألاف اليهود البائسين تاركين إسبانيا ومايورقة وطنهم الذي إغتنوا فيه بتجارتهم صناعتهم وعلمهم (15)، فرارا بدينهم وأموالهم.

ثم كان قرار إيزابيلا في 31 مارس 1492 والقاضي بطرد كل اليهود الإسبان من البلاد في مهلة لاتجاوز جويلية1492، والذي تسبب في موجة الهجرة الأكثر أهمية لليهود الغربيين نحو الشمال الإفريقي، على غرار الموريسكيين الذين تراوحت أعدادهم بين 200 و800 ألف شخص حسب المصادر(16)قبل الطرد النهائي في 1609(17) وقد تدعمت هذه الساكنة القادمة من إسبانيا بهجرة يهود توسكانيا في القرن السابع عشر والتي تشكل مجموعة متجانسة بنوع حياتها المختلفة وثقافتها الأروبية العبرية ذات خصوصية اسبانية حيث كانوا يتكلمون لغة إسبانية عبرية تسمى لادينو (18)، وقد جلبوا معهم ثقافتهم وفنونهم، كما حفظوا بكل ورع وتقوى في مكتباتهم عدد كبير من المخطوطات التي ورثوها عن أبائهم وأجدادهم الذين سكنوا قشتالة في إسبانيا فشكلوا بسرعة عماد مايسمى اليهودية السفاردية.

ثانيا/ الانتشار اليهودي في الجزائر

تبعا للتوافد عبر الفترة العثمانية للجزائر والذي عرف تزايد وتناقص تبعا للظروف التي كانت تمر بها الجماعة اليهودية من فترات إنتعشت فيها أوضاعها وأخرى عرفت فيها مشاكل وإضطرابات، فمع مرور الزمن وفد إلى البلاد يهود ليفورنيا (19) والتي كانت مستوطنة يهودية من أصل إسباني إنجذبت إليها عند إنشاء الميناء في نهاية القرن 14 من دوق توسكانيا الكبير، فكانوا يسمون بالميغورشيم(20)، ويلقبون أيضا باليهود المسيحيين، (يهود النصارى) Francs فإستولت طائفتهم على مقاليد الزعامة والقرار داخل الجالية اليهودية (21) وفرضت نفسها على بقية الطائفة.

كان عدد اليهود 40 ألف دون شك في كل الأيالة بينما تقدم مصادر أخرى 30 ألف (22)يعيشون في المدن بالنسبة للأغلبية كالجزائر، قسنطينة أين وضعوا في غيتوهات.يمارسون دينهم بكل حرية تحت إدارة حاخاماتهم الذين يوجهون كل أمور الطائفة اليومية كبيرها وصغيرها مهما كانت (23) .

وقد كانت هذه الجالية عبارة عن عدد من الأسر اليهودية التي لم تعد تتحمل شظف الحياة في إيطاليا، وجاءت إلى الجزائر تريد الإستقرار ومن جملتها أسرة بوجناح (24)التي وصلت إلى ميناء عاصمة الإيالة سنة 1723، وكانت معدمة لاتملك قوت يوم(25)فأسست شركة تمثل وكالة تجارية (26)وسرعان ما أصبح لديها فروع وتوسع نشاطها(27)، فكانوا بالنسبة للداى والقناصل الأروبيين: محل إعتبار ويشكلون في القرن الثامن عشر الأرستقراطية الدينية والروحية لليهود الإسبان يسيطرون ليس فقط على الطائفة اليهودية في الجزائر، وإنما أيضا على تجارة ومالية البلاد كعائلات بوشارة ، بكري ، بوجناح (28)

وقد كانت الطائفة الليفورنية ترفض الإختلاط باليهود الأهالي، هؤلاء الليفورنيين الذين فروا من الإضطهاد الذي يمس بني قومهم إغتنوا بسرعة متسببين بذالك في ردود فعل الأهالي المسلمين والتي عانى منها بالدرجة الأولى اليهود الأهالي الذين عاشوا في البلاد منذ قرون(29).

وقد كان عددهم سنة 1830 في العاصمة 615،(30) من دون تجانس بين العناصر الثلاثة المذكورة سابقا، غير أن مصلحتهم العامة في مواجهة غيرهم والحفاظ على كيانهم المستقل فرض عليهم التلاحم، ورغم أنهم كانوا يمثلون طائفة منغلقة إلا أن الصراعات الداخلية كانت قائمة في داخلها،(31) حيث أن المكائد كانت بينهم من أجل زعامة الطائفة فإتخذ الصراع مظهرين بين فرعين من الطائفة وصراع بين عائلات متنفذة فإلى جانب تنافس الميغورشيم مع الغورنيم الفرنكيين فقد كان الصراع من نوع أخر أي بين العائلات الكبرى؛ فنجد مثلا بتولي الباشا أحمد السلطة صادر أملاك بوجناحوإضطهد أفراد بارزين من أسرة بكري (بن زهوات)

ثالثا/ التفاعل الثقافي والاجتماعي

كان لتوافد الهجرات المتلاحقة على البلاد أثر في الشعور الدائم بالغربة لى اليهود وعدم الاندماج في المجتمع خاصة بالنسبة لفئة الفرنكيين فقد غلبت علي اليهود حرفة التجارة وبعض الصناعات التي إحتكروها كالصياغة وبالتالي كانت ثرواتهم منقولة ما يساعدهم على الانتقال بها حيث سمح لهم في مقابل ما يدفعونه من أتاوةبإتخاذ بيعة (شنوغة) وإقامة العبادة العامة حيث يتميزون عن المسلمين باللباس الداكن ويضعون قلنسوة ولهم في شوارعهم المظلمة الخمارات والمقاهي العامة ..يتردد عليها أيضا بعض المسلمين من عشاق اللذة ويشتغل اليهوديات عند الضرورة بجد ونشاط فيقمن بأعمال الخياطة والطرز عند نساء المسلمين، غير أن هناك عدد كبير يستنكفون العيش من الأعمال اليهودية ويفضلن العيش ببيع أجسادهن (32) حسب بعض المصادر.

وقد كانوا يقطنون مختلف المدن الجزائرية حيث يتميزون بحاراتهم وأحيائهم الشعبية ومدارسهم وبيعهم (جمع بيعة) ومهنهم التي كانت لا تخرج عن المتاجرة في الذهب والفضة وكذالك خياطة الأقمشة، وفي العهد العثماني الأخير برز اليهود في ناحيتين على مستوى السلطة، الأولى هي الترجمة بين أرباب الدولة والقناصل الأجانب (وكذالك بين التجار المسلمين وغيرهم) والثانية هي إحتكار التجارة الخارجية للجزائر(33).

أما في الجانب الاقتصادي فقد كان تأثير اليهود متميزا، ولعل ما يكشف عن توغل اليهود في شؤون الجزائر هو رقابتهم لأنواع العملة الداخلة إلى خزينة الدولة؛ فقد كانوا في العهد العثماني هم الذين يزنونها ويفحصونها ويحكمون بزيفها أو أصالتها سواء كانت ذهبية أو فضية، ومن ثم كانوا على علم بكميتها وقيمتها في الصعود والهبوط حسب الأسواق الدولية (34)، وبذالك كانوا يحتكرون هذه المهمة ويتمتعون بثقة الحكام ليس في أماناتهم فحسب حيث كانوا محل مراقبة وإنما في مهارتهم لأنهم برعوا في هذا الميدان، وقد ضلوا يتمتعون بهذه الثقة حتى عندما تحدث الأزمة بينهم وبين الدايات وقد رشحتهم خبرتهم بالعملات لهذه المهنة الدقيقة جدا من جهة، وكونهم في نظر السلطة لايشكلون خطر من جهة أخرى، إذ أنهم كأقلية لايهددون بثورة أو طموح في الحكم ولكنهم غالبا كانوا محل رقابة شديدة(35). مثلما أسلفت الذكر.

كما أنهم لعبوا دورا هاما في عملية شراء وبيع الغنائم فهم أول من إخترع الكمبيالات وإستعملوها في معاملاتهم مع مراسليهم من كل المدن الأروبية، وهم يعتبرون أسياد العالم في جمع الثروات والأموال حيث يعملون بصياغة الذهب والصيرفة و بطرق العملة الذهبية والفضية والنحاسية ولا ينافسهم فيذالك أحد،(36)وبذالك نالوا شهرة طبقت الأفاق.

ويذكر أرآند في هذا المجال أن اليهود كانوا ينصبون طاولات في الشوارع ويبدلون العملة وأنهم كانوا يربحون من ذالك أموال كبيرة، وأن ذالك شاع بينهم كما شاع غش العملة، كما كانوا يشتغلون ببعض الصنائع الدقيقة الثمينة كالخياطة الصياغة وإختبار جودة الذهب والفضة ، بالإضافة إلى التجارة في الصرافة والدخان والعطارة ونحوها (37)، فقد كانوا البنكيين الوحيدين في مدينة الجزائر(38)عموما دون منافس.

وقد زاد العجز المالي الذي كانت تعاني منه الدولة الجزائرية في تنفذ اليهود في دواليب صنع القرار السياسي حيث استغلوا المصاعب المالية التي كانت تواجه الدايات المتعاقبون على الحكم أحيانا في الحصول على إحتكار التجارة لفائدتهم(39)،ومن جملتهم جماعة من التجار اليهود الذين كانوا يقيمون في مدينة قسنطينة، وأهمهم نفتالي وبوجناحوشيافينو؛ كان لكل منهما محل في عنابة وإتصالات وثيقة بحاشية الباي وأعيان المقاطعة، كما أنهما إستطاعا أن يستميلا ممثلي الهيئات التجارية الفرنسية مقابل بعض الخدمات والمساعدات المالية(40)، فأصبحوا أباطرة التجارة في الجزائر لما نالوهمن إحتكارات خاصة وأن السلطة العثمانية في البلاد كان لايهمها إلا تأمين رواتب الجند ومصدر مالي ثابت يجنب الدايات مخاطر الإنقلابات .

وقد كان منح الإحتكارات الوسيلة التي لجئت إليها السلطة من دون النظر إلى عواقب الإستمرار في هذه السياسة الخطيرة على إقتصاد البلاد على المدى البعيد ما سمح لأساطينهم من تكوين إمبراطوريات تجارية ومالية ذات إمتداد دولي، فبلغ من سيطرتهم على التجارة درجة حتى أن القنصل Jean Bon Saint André كتب يقول ((لا أحد كان يمكن أن يصدق أن تجارة المتوسط تسقط في يد يهوديين من الجزائر؟ لاشيء حاليا أكثر حقيقة من ذلك، وهذهالظاهرة..تمنح مجال واسع للتدخلات السياسية)) (41)

ولم يكن اليهود في الجزائر يختلفون عن غيرهم في جوانب الحياة الإجتماعية والثقافية في كل البلاد العربية، فقد كانوا يتمتعون بنظامهم الدينيوالإجتماعي، ويتحدثون العربية الدارجة، ولهم مدارسهم الدينية التي تعلم اللغة العبرية، وكانت لهم محاكمهم ورببوهم، ولباسهم وتقاليدهم ومواسمهم الدينية المعترف بها كأهل كتاب، كما كانوا أحرار في العمل وممارسة أي وظيفة شرعية في الدولة لايمكن إستعبادهم وككل البلدان

يمارسون كل نشاط متعلق بالتجارة (42)، ويقول أحد المعاصرين أن اليهود سنة 1830 كانوا (عربفون) أي يتحدثون العربية ويظهر عليهم الطابع البربري القوي ، وكانت لهم الميول الحضرية ويظهر ذالك في حفلاتهم

ومناسباتهم وفي رقصهم وموسيقاهم فقد كانوا يختلفون جدا عن يهود الإشكنازي(43)الاروبيين(44) ويعبر عن ذالك المثل اليهودي الشعبي ((العربي خونا من الطين عدونا في الدين))، هذا الجانب نجد له إنعكاس في نظرة اليهود الإشكينازللسفرديم في الجزائر يعبر عن ذالكالسفرديم(45)، حيث هم يشبهون الأهالي البربر والعرب أكثر من إنتمائهم للعائلة اليهودية الكبرى، فالجالية اليهودية التي إكتشفها الفرنسيون في الجزائر أقرب في ثقافتها، لباسها وعاداتها للعرب فاليهود المغاربة بقوا في نظر الفرنسيين أهالي رغم مرور زمن من الإحتلال الفرنسي للجزائر.

وقد تطورت أوضاعهم في البلاد حتى أن مدينتي الجزائر وتلمسان أصبحتا تبدوان وكأنهما العاصمتين الثقافيتين ليهود شمال إفريقيا (46).

ونظرا لدورهم فقد كانوا محل إهتمام من الحكام فنجد صالح باي قد خصص لليهود المنطقة المحصورة بين القنطرة وحافة الهاوية التي كانت مهجورة ليبنوا فيها منازلهم و دكاكينهم(47)، فتنسب إلى صالح باي تخصيص حافة الشارع التي قطعها لليهود وقد كانت هذه المنطقة تسهل على إدارة البايلك مراقبتهم والتحكم في نشاطاتهم. وبذالك عاد النشاط إلى هذا الجزء من المدينة الذي كان شبه مهجور وأصبحت هذه الجهة التي تعرف برحبة الصوف مركزا تجاري مهماً بعد أن شرع اليهود في فتح دكاكينهم على الشارع الرئيسي الذي يصل باب الوادي بباب القنطرة(48)فحاراتهم تكون عموما الأكثر نشاطا في التجارة ويذكر سعد الله أن يهود قسنطينة الذين بلغ عددهم حسب بعض الروايات خمسة ألآف يمارسون تجارة تدر عليهم مالا يقل عن مليون دولار سنويا بعملة ذالك الوقت وكانوا يصدرون الصوف والقمح والشعير والوبر وريش النعام والشمع والجلود والغنم والبقر والبغال والدجاج والخشب وغيرها إلى أروبا(49)، فاليهودي عموما يبيع كل ما هو ممكن بيعه، وبذالك كانت حارات اليهود أهم المراكز التجارية، ناهيك على أنهم أصبحوا خبراء المسالك وأنواع البضائع المتداولة في الجزائر وإفريقيا مع أروبا(50)

رابعا/ علاقات اليهود بمحيطهم الاجتماعي: السلطة والاهالي

وهي عموما وإن تميزت بالتعايش والتسامح الديني والظروف الآمنة التي وفرتها البلاد لهم، خاصة في ظل الاضطهاد الذي كانوا يتعرضون له في أروبا بعد سقوط الأندلس وتعرضهم لمحاكم التفتيش أسوة بالمسلمين، فإن نعمة الهناء لم تكن دائمة حيث عرف تاريخ اليهود بالجزائر فترات اضطهدوا فيها وقد دفعوا ثمن تحالفهم مع السلطة العثمانية التي كانت تحميهم كنوع من الانتقام، وفي المقابل تلجأ السلطة إلى اتخاذ إجراءات قاسية ضدهم لترضية الثائرين، فيصبحوا كبش فداء في علاقة السلطة بالأهالي كلما دعت الحاجة إلى ذالك، وهذا بسبب بعض الممارسات التي يمارسها أعيان الطائفة أو غيرهم والتي كانت مرفوضة من طرف سواد المجتمع الجزائري كما أن التاريخ لم يخلو حتى من الصراعات داخل الطائفة ذاتها، فقد كان التمايز في العلاقات داخل الطائفة ذاتها ناهيك عن خارج الطائفة فقد شكل السفرديم الوافدين من الأندلس والمهاجرين الجدد Gorneyim تمايز جعلهم يختلفون عن اليهود الأهالي الوافدين من إيطاليا خصوصا بمستواهم التعليمي الرفيع وغناهم، فأحفاذ هذين المجموعتين يشكلون الطبقة الوسطى (تجار ، صناعيون...) يواصلون إستعمالاللادينو إلى وقت متأخر القرن 19 حيث عوضوها باللغة الفرنسية (51)فكانوا أكثر إستعداداللإرتباط بالغير.

وإن كان استولى يهود الميغورشيم على مقاليد الحياة الدينية في المدينة فإن يهود ليفورنوإستولوا بحلولهم في البلاد على كل المجالات(52)فقد إستقرالغورنييم (بالعبرية) . عموما . في الشرق الأدنى وشمال إفريقيا ،ولم يتأخروا في إحتلال مكان مرموق ضمن الطائفة اليهودية لعدة مدن كتونس وحافظوا على علاقات ضيقة مع بلادهم وشاركوا في ربط علاقات بين يهود البلاد العثمانية(53).

كما أنهم إنعزلوا عن اليهود الأصليين حيث أنهم كانوا يتزوجون فيما بينهم (54) ، وبذالك حافظوا على خصوصياتهم حتى داخل الطائفة نفسها، ورغم كل شيئ فقد كان رأس الطائفةنفطالي بوشناق ويوسف بوخريص(55) يتمتعان بنفوذ كبير في كامل البلاد وحضوة لدى حكامها وكدلالة على نفوذهم السياسي والإقتصادي ذكر أن الداي قد عين أبراهام بوشناق وزيرا له لدى بلاط فرنسا، وناتان بكري قنصلا له في مارسيليا، وأخاه في ليفورنيا كما أن الداي كان يستشيرهم في المسائل الخارجية وكان يأخذ منهم المال اليهودي كلما إحتاج إليه وكان القناصل الأجانب يقترضون منهم أيضا(56)

فقد بالغ اليهود في الثراء على حساب السكان كما أن مقاسمة الأموال مع السلطة التي كانت تحميهم قد أدت إلى ضربهم أحيانا بقسوة؛ كوسيلة لتهدئة الغضب الشعبي وشراء سكوت الإنكشارية(57)التي كانت تهدد بالثورة(58).

وبذالك نجد أن سيطرة اليهود على المالية والتجارة وإحتكارهم لها إلى جانب الأساليب التي إشتهروا بها للحصول على الأموال على حساب الدولة الجزائرية وسكانها هي التي جرت عليهم غضب الأهالي وسخطهم، وقد تحول هذا السخط في بعض الأحيان إلى ثورات إنتقامية كما حدث في سنوات 1801/ 1804/ 1805/ 1815 والأكثر خطورة كانت ثورة سنة 1805 بحدتها وخطورتها، لما خلفته من ضحايا وما نتج عنها من تدمير وهجرة إلى الخارج(59)؛ فقد تعرض فيها اليهود ككل إلى نقمة السكان وهذا تحملا لوزر حفنة من أعيانهم الفرنكيين حيث بإنتشار نبأ مقتل بوشناق في المدينة وإنفجار السخط الذي كان مكبوتا، راح السكان على إختلاف طبقاتهم يبحثون عن اليهود لقتلهم (وقد إتخذ الداي إجراءات متأخرة) حيث نفى إلى تونس عدد من اليهود الذين بقوا على قيد الحياة ووعد أنه لن يقبل في المستقبل يهوديا واحدا في قصر الجنينة (60).

قد استمروا في أوقات لاحقة في التدفق على البلاد حيث تذكر بعض المصادر أن عددهم كان حوالي 5000 نسمة سنة 1826(61)في مدينة الجزائر فالطائفة كانت تتجدد مع تجدد المصالح .

الخاتمة:

مما سبق ذكره يمكن أن نقول أن المجتمع الجزائري كان خلال العهد العثماني على غرار بقية العهود ملاذا للفئات الاجتماعية المضطهدة وفر الأمان لكل الطوائف التي تعايشت مع أهل البلاد، كما أن أهل الذمة مارسوا كل طقوسهم الدينية من دون إضطهاد أو إجبار على تغييرالديانة، وهو ما لم يكن متاح في المجتمعات المسيحية على غرار إمبراطورية شارلكان وكل التاريخ الاروبي الحديث، قبل الثورة الفرنسية التي أصدرت تشريعات لترقيتهم و(تحريرهم)، ومع ذلك إستمرإضطهادهم شعبيا، كما أن أسباب المشاكل التي تعرضوا إليها في الجزائر كانت بالأساس اقتصادية مباشرة بسبب الاحتكارات أو سياسية غير مباشرة كنوع من إبداء الأهالي لعدم الرضا تجاه سياسة أحد الحكام من الدايات العثمانيين خاصة وأن البلاد بدأت تشهد في أواخر فترتهم صعوبات مالية بسبب تراجع مداخيل الجهاد البحري .

هوامش واحالات البحث:

1 كلمة التبشير مصطلح مسيحي عربي والأجدر قول التنصير إذا ما كان هدف الفعل موجه للمسلمين لأن هؤلاء بشرو بالدين الإسلامي والنبي محمد والذي من ألقابه(البشير) منذ زمن وليسوا في حاجة إلى تبشير بخلاص

2 بشير، عبد الرحمان ، اليهود في المغرب العربي 22ه. 462ه ،عين شمس للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية ، طبعة أولى 2001.ص60

3 Michel, Anskey. les juifs d' Algerie du décret cremieux a la libération. Éditions du centre, Paris 1950 p15

4 بشير، عبد الرحمان، مرجع سابق ص 64

5 Raphaël DEL PARD l'histoire des pieds noirs d'Algérie 1830-1962 Michel lafon.2002 p28

6 J M HADDEY le livre d'or des israélites Algériens des enseignements authentiques sur les principaux négociants juifs d'Alger pendant la période turque. Alger: imprimerie typographique de Bouyer, 1871p6

7 فوزي، سعد الله، نفس المرجع الأنف الذكر ص، 120

8 Eugène ALBERTINI, Georges MARCAIS, Georges YVER L'Afrique du nord français dans l'histoire. Lyon: éditions Archat 1937 p 136

9 أي المهاجرين ومقطع (إيم) في اللغة العبرية أداة جمع

10 لوي، كارداياك ، الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون المجابهة الجدلية (1492. 1640) . تعريب وتقديم الدكتور عبد الجليل التميمي ، الجزائر. تونس : منشورات المجلة التاريخية المغربية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1983 ص 29

11لوي، كارداياك ص 105

12للإطلاع أكثر أنظر ملخص أعمال ملتقى علاقات شبه جزيرة إيبيريا مع المغرب

- Relaciones de la peninsulaiberica con el magreb (siglos 13_16) actas delcoloquiomadrid 17-18 diciembre 1987

Vellve – jouquim la emigracionandalousi al magreb en el sieglo13 (despoblacion y repoblacion en al andalous pp 87_129

Lopez de coca castanerjoseenriquela emigracionandalousi 1485-1516 pp 409-451

13 Alfred Bel les principales races p104

14كورين ، شوفاليه ، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510. 1541 . ترجمة جمال حمادنة ، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1991 ة ص 15

15 Alfred Bel les principales races p104

16Eliaou Gaston Guedj L'enseignement indigène p25

17 فوزي ، سعد الله، ،.ص120

18 Ali Ibrahim Abdou les juifs des pays arabe p8

19مدينة وميناء إيطالي في مقاطعة توسكانيا على البحر التيرانيبداءت تتسع في عهد دوق توسكانيا فرديناند الأول 1549.1609 يبعد عن فلورنسا عاصمة

المقاطعة بحوالي80 كلم

20Jeane GANIAGE histoire contemporaine du Maghreb de 1830 a nos jours. Libraire Artheme,1994 p 32

21فوزي، سعد الله، نفس المرجع الأنف الذكر ص، 121

22 Arsene, Berteuil, L'Algérie Française, tome premier Paris Dentu - libraire palais royal 15 galerie vitrée 1856

23 GANIAGE. Op.cit., p 32

24 المنحدرة من نفطاليبوجناح هذا التاجر حيث الإسم تحول من طرف الأهالي إلى بوجناح ويذكر في مصادر أخرى بتسميات بوشناق وبوسناش

25 M J M Haddey le livre d'or des israélites algériens Alger 1871P41

26 الوكالة نظام تجاري حيث كان الوكيل يوزع البضائع على عملائه ويبع لهم بضائعه ويقوم مقام المصرف وتودع لديه البضائع يتصرف فيها نيابة عن صاحبها وهناك عدة شروط يجب أن تتوفر في الوكيل كالثروة ووجود مخازن أنظر عبد الرحمان ص103

27 لمزيد من المعلومات أنظر الزبيري تأسيس شركة بكري وبوجناح مجلة الأصالة عدد 28

28 Michel, ANSKEY. Les juifs d'Algérie du décret Crémieux a la libération Paris : Éditions du centre, 1950. P23

29 Pierre, BOYER la vie quotidienne à Alger a la veille de l'intervention Française. Hachette, 1963 p160

30 Yahiaoui _ MerabetMessaouda : Société Musulmane et Communautés Européennes Dans L'Algérie Du XX em siècle réalités, idéologies, mythes et stéréotypes 1898 – 1960 éditions Houma 2005.p173

31فوزي ، سعد الله، ص 158

32 سيمون، بفايفر، ص 182

33 أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي الجزء السادس 1830 . 1954 ص 391

34 نفسه، ص 393

35 أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي الجزء السادس 1830 . 1954 ص 393

36 كورين ، شوفاليه ، نفس المرجع الأنف الذكر ص79

37 أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي الجزء الأول 1830 . 1954 ص 152

38 Arsene, Berteuil Op.cit., p 42

39 مبارك بن محمد الهلالي، الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث .الجزء الثالث، الجزائر: مكتبة النهضة الجزائرية، 1964 ص60

40 محمد العربي، الزبيري التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة بين 1792 . 1830 ص142

41 Gabriel ESQUER. Les commencements d'une empire la Prise d'Alger 1830 .Alger: édition l'Afrique latine, 1923 p17

42 Arsene, Berteuil Op.cit., p 42

43 YAHIAOUI. Op.cit., p173

44كلمة إشكينازيم تعني بالعبرية الحديثة ألمان الياء للنسبة والميم للجمع بداء استعمال المصطلح الإنجيلي في القرن العاشر للإشارة ألمانيا حيث بدأت تفر جاليات وبسبب الإضطهادبدأو يفرون شرقا لبولندا والبلطيق وروسيا لغتهم تسمى اليديشيهودية . ألمانية لغة كتابة لا تخاطب بين يهود شرق أروبا إلى أن وضع الحاخام بن يهوذا في 1911 قواعد لغة عبرية حديثة تطبيقا لمقررات مؤتمر بازل الصهيوني الأول 1897 يتبعون التقاليد الفلسطينة يشكلون حاليا 85 % من اليهود في العالم

45السفراد إسباني بالعبرية لغتهم اللادينو يهودية . قشتالية يتبعون التقاليد البابلية يمثلون 15% من يهود العالم

46كورين ، شوفاليه ، نفس المرجع الأنف الذكر ص17

47 محمد الصالح ، بن العنتري ، فريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة وإستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة . مراجعة وتقديم وتعليق يحي بوعزيز، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1991 ص 65

48 محمد الهادي ، العروق ، مدينة قسنطينة دراسة في جغرافية العمران . الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1984 ص 81

49 أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي الجزء الأول ص

50 نفسه ص 392

51 Abdou, (Ali Ibrahim)- khairieh, (kasmieh). les juifs des pays arabes .beyrouth : centre de recherches OLP, Juin 1971p8

52 فوزي، سعد الله، نفس المرجع الأنف الذكر ص 126

53 Bernard LEWIS juifs en terre d'islam diaspora traduit de l'anglais par jacqueline carnaud. Paris : calmann - levy France ,1986 p 201

54 BOYER. Op.cit., p 173

55 محمد بن مبارك الميلي، نفس المرجع الأنف الذكر ص 60

56سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي الجزء الأول ص152

57الإنكشارية يني شاري بالتركية الفرقة الجديدة مشاة نظاميون للجيش العثماني إستحدثت في عهد مراد الأول 1359 . 1389 من أبناء المسيحيين يعيشون نظام وقوانين صارمة وتنشئة إسلامية يشكلون نخبة الجيش العثماني في عهد محمد الرابع سمح للمسلمين بالدخول في الفرقة بسبب مزاياها وإرتفع عدد أفرادها من 20 ألف في 1754 إلى 135 ألف في 1826 تم القضاء عليها في 1826 من طرف السلطان كانت ترسل دفعات إلى الجزائر وإستمر وجود الفرقة إلى سقوط مدينة الجزائر وطردهم من طرف السلطة الفرنسية في أولى أيام الإحتلال

58 أبو القاسم، سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي الجزء الأول ص 392

59 ناصر الدين ، سعيدوني، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني 1792 . 1830 ص46

60 مبارك بن محمد الهلالي، الميلي، نفس المرجع الأنف الذكر ص 252

61Arsene, Berteuil Op.cit., p 42